الصباح الإسلامية
09
إشراف : ياسر السيد
العدد 2518 - السنة التاسعة
الأحد 12 شوال 1437 - الموافق 17 يوليو 2016
Sunday 17 July 2016 - No.2518 - 9th Year

من معجزات القرآن الكريم

« اللهُ الذِي رَفعَ السمَاوَاتِ بغيْرِ عَمَدٍ ترَونهَا »

إن العقل البشري أداة معرفة الله عز وجل، لكن قدراته محدودة، بمعنى أن العقل إذا جال في الكون جولة يستنبط أنه لا بد لهذا الكون من خالق، يأتي الوحي، ويجيب العقل عن هذا السؤال الذي قلت: إنه لا بد له من خالق، إنه الله، الله الذي رفع السموات، فالحقيقة أنّ كلمة : ﴿اللهُ الذِي رَفعَ السَمَاوَاتِ بغَيْرِ عَمَدٍ ترَونهَا﴾ هي في مضمونها إجابة لتساؤل العقل من أن هذا الكون لا بد له من خالق، فهذه هي الإجابة :

(الذي خلق سبع سموات طباقا)
[سورة الملك]
(اللهُ الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها)
[سورة الرعد]

لا بد من تكامل بين العقل والنقل، سأوضح هذا بمثل: إذا دخلت إلى جامعة قرأت أبنيتها، وقاعات المحاضرات والمخابر، وبيوت الطلبة، والحدائق الغناء والملاعب، عقلك يستنبط عشرات الحقائق من هذا الذي رأيته.

الآن الملاحظة، لاحظت دقة في الأبنية، وتناسب الأبنية مع أهداف الجامعة، وقاعات المحاضرات، فيها عزل للصوت، ومدرج، وسبورات تمسح آلياً، بيوت الطلبة حولها حدائق، وموقع الجامعة بعيد عن الضوضاء، والمخابر العمالقة، تستنبط أن هناك إدارة وجامعة وتخطيطا وهندسة، ولكن هل تستطيع أن تستنبط من هو عميد الكلية؟ من هو رئيس الجامعة من هذه الأبنية؟ هل لك أن تستنبط نظامها الداخلي؟ متى ينجح الطالب ومتى يرسب؟ هل لك أن تستنبط أسماء الأساتذة؟ مستحيل، فالنظر في أبنية الجامعة ينبئك أن وراء هذه الأبنية مهندسين وعلماء، لكن من هم؟ ما أسماؤهم؟ ما النظام الذي يحكمهم؟ كيف ينجح الطالب؟ هذا لا بد من كتيب عن الجامعة، فالنظر في الكون يكمله الوحي، التأمل والتفكر في خلق السموات والأرض يكمله وحي السماء، فأنت بالعقل إذا جال في الكون تعرف أنه لا بد لهذا الكون من خالق، يأتي الوحي ويقول لك :

(اللهُ الذِي رَفعَ السَمَاوَاتِ بغَيْرِ عَمَدٍ ترَونهَا)

العقل لا قيمة له من دون وحي ينير له الطريق :

img شيء آخر مهم جداً، الوحي ينقل لك مراد الله منك! لماذا خلقك؟ ولماذا جعل الدنيا محدودة وجعلها قصيرة؟ لماذا جعلها ممرًا للآخرة؟ فكل هذه التساؤلات يأتيك الجواب عنها في الوحي، فنحن لا يمكن أن نعتمد على العقل وحده في الإيمان، تماماً كهذه العين، فلو أن إنساناً يملك عيناً في أعلى مستوى من الرؤية، ما قيمتها من دون ضوء؟ لا قيمة لها إطلاقاً، لو جلس إنسان يبصر في غرفة مظلمة، وإنسان لا يبصر فيهما بستويان، فكما أن هذه العين لا قيمة لها من دون ضوء يتوسط بينها وبين الأشياء، كذلك هذا العقل لا قيمة له من دون وحي يتبر له الطريق، أقول: العقل من دون وحي:

(إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ × فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ × ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ × ثُمَّ نَظَرَ × ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ × ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ × فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ × إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ × سَأُصْلِيهِ سَقَرَ)
[سورة المدثر]

العقل وحده لا يكفي فهو محدود، لا بد للعين من ضوء، ولا بد للعقل من وحي، فالله عز وجل يجيب العقل الذي تساءل عن أن هذا الكون يحتاج إلى خالق، أجابه، وقال :

(اللهُ الذِي رَفعَ السَمَاوَاتِ بغَيْرِ عَمَدٍ ترَونهَا)

بمعنى أنه رفعها بعمد لا ترونها، وما من تفسير لنظرية التجاذب في الكون إلا هذه الآية.

في الكون قوى تجاذب لا يراها الإنسان :

لو أنك جئت بورقة، ووضعت عليها مسمارًا، وفي أسفل الورقة دون أن ترى المغناطيس حركت هذا المغناطيس فتحرك المسمار، بين الورقة والمغناطيس قوى تجاذب، لكنها غير مرئية، لا ترى بالعين، فأنت على وجه الأرض مرتبط بقوى التجاذب، ما هو وزن الإنسان في الأساس؟ هو قوة جذبه نحو مركز الأرض، الوزن كله، بدليل أن الإنسان فيما بين الأرض والقمر تنعدم الجاذبية، فيصبح لا وزن له، رواد الفضاء يستيقظون، فإذا هم في سقف المركبة، تنعدم الجاذبية، فالآية :

(اللهُ الذِي رَفعَ السَمَاوَاتِ بغَيْرِ عَمَدٍ ترَونهَا)

img من حكمة الله عز وجل أن الأرض تدور حول الشمس، هذا شيء بديهي، سرعتها في دورانها حول الشمس ثلاثون كيلو مترًا في الثانية! نحن من أول هذا اللقاء إلى الآن قطعنا مئات ألوف الكيلومترات، وهذا شيء يقيني، الأرض تدور حول الشمس في مسار إهليلجي بيضوي، والمسار البيضوي له قطران، صغير وكبير، الشكل البيضوي لو أخذنا مركزه، عندنا نصف قطر طويل، ونصف قطر قصير، ليس كالدائري، كالبيضة تماماً، فالأرض تدور حول الشمس بمسار إهليلجي، وهذا المسار له قطر صغير وقطر كبير، أو نصف قطر صغير، ونصف قطر كبير، في أثناء سير الأرض حول الشمس، وعلى هذا المسار إذا اقتربت من نصف القطر الصغير قلت المسافة بينها وبين الشمس، وتعلمون أستاذ عبد الحليم - جزاكم الله خيرا - أن قانون الجاذبية يتناسب مع الكتلة والمسافة، فإذا قلت المسافة ازداد الجذب، فبديهي أن الأرض حينما تقترب من الشمس في هذا المكان الذي قطره صغير لا بد من أن تنجذب إلى الشمس، ما الذي يحصل؟ ترفع الأرض من سرعتها، وكأنها عاقلة، ترفع هذه السرعة لينشأ من هذه السرعة الزائدة قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة كيف؟ لو حملت وعاء ماء وملأته ماء، ودورته، الماء لا يسقط، لماذا؟ لأنك حينما تدير هذا الوعاء ينشأ من هذا الدوران قوة نبذ بعيدة عن المركز، فالماء لا يسقط، فالأرض حينما تصل إلى هذه المرحلة الحرجة، والتي يخشى منها أن تنجذب إلى الشمس ترفع سرعتها، حيث ينشأ من هذه السرعة الإضافية قوة نبذ استثنائية تكافئ قوة الجذب الاستثنائية، فتبقى في مسارها، وهي مادة غير عاقلة.

تبارك الله عز وجل في الآفاق :

هل تصدق مركبة في طريق ليس فيها سائق؟ سيارة من حديد توقفت عند الإشارة الحمراء، مرّ طفل فأطلقت بوقها، عند المنعطف انحرفت نحو اليمين، هل تصدق ذلك؟ هل تعد المادة عاقلة؟ هذا شيء مستحيل، شيء من صخر، لماذا رفعتْ من سرعتها؟ ولماذا تابعتْ سيرها؟ لأن هناك إدراكا بالجذب القوي، لأن هناك خالقًا يسيّرها اسمه الله، لكن الشيء اللطيف لو أن هذه الأرض رفعت سرعتها فجأة لانهدم كل ما عليها، لكن الحكمة البالغة أن التسارع بطيء، ليبقى كل شيء في مكانه، تماما لو وضعت بضع علب في شاحنة، وأقلعت فجأة تقع العلب، أو وقفت فجأة تقع العلب، السبب أن في قانون العطالة الجسم المتحرك يرفض السكون، والجسم الساكن يرفض الحركة، لماذا حزام الأمان في السيارة؟ لأنها إذا توقفت فجأة بسبب حادث فأنت تركب معها، فأنت بحكمك مبدأ العطالة، تريد ألا تقف، فتبقى متحركا، فيقع الحادث، لذلك وجد حزام الأمان لتكون مرتبطا بالسيارة، فهذه الأرض حينما تصل إلى هذا المكان الحرج ترفع سرعتها، فينشأ من رفع هذه السرعة قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة، فتبقى في مسارها.

الآن الأرض تمشي، وصلنا إلى القطر الأعظم، المسافة طالت بينها وبين الشمس، والجاذبية ضعفت، يوجد خطر من تفلت الجاذبية للشمس، الآن خطر آخر، نوع آخر، أول خطر هو خطر الانجذاب إلى الشمس، والأرض إذا ألقيت في الشمس تبخرت في ثانية واحدة، الخطر الثاني خطر التفلت من جاذبية الشمس، فإذا سارت الأرض في الفضاء الكوني أصبحت الحرارة مئتين وسبعين تحت الصفر، ولمات كل ما على الأرض، برودة لا تحتمل!! خطر الانجذاب إلى الشمس بالاحتراق، وخطر التفلت من الشمس بالتلف الناتج عن البرودة الكبيرة جدا.

الآن: الأرض في هذا المكان الثاني تبطئ من سرعتها لينشأ من بطء السرعة ضعف في قوة النبذ يكافئ ضعف الجاذبية، فتبقى في مسارها.

لا بد لهذا المسار والمسير من قدرة إلهية محكمة بحركة الأرض، الآن التسارع بطيء والتباطؤ بطيء، وهذا يعبر عن إسم "اللطيف".

أحيانا تركب مع سائق أرعن، يوقف المركبة فجأة، فيقلب الركاب، يقلع فجأة فيزعجهم، السائق اللطيف لا تشعر بشيء مزعج معه.

تركب طائرة، الطيار يهبط بخط انسيابي، وهناك طيار ينزل بك بالطائرة، وكأنك في درج فهذا من اسم "اللطيف".

الحكمة من رفع السموات بغير عمد تراها :

لو أن الأرض تفلتت من جاذبية الشمس، وسارت في الفضاء الكوني، وأردنا أن نرجعها فلا بد من مليون مليون حبل تربط بها إلى الشمس، ومن المعلوم أن أمتن حبل في الكون هو الفولاذ المضفور، ونحن من أجل أن نعيد الأرض إلى مسارها حول الشمس لا بد من أن نربطها بمليون مليون حبل فولاذي، قطر كل حبل خمسة أمتار، والمعلوم أن الحبل الفولاذي قطره خمسة أمتار يحمل مليوني طن، قوى الشد في هذا الحبل تساوي مليوني طن، نحن الآن سنغرس مليون مليون حبل على سطح الأرض كي نشدها إلى الشمس، لو زرعنا هذه الحبال لفوجئنا أنه بقي بين كل حبل وحبل مسافة حبل واحد، نحن أمام غابة من الحبال تعيق الحركة، والبناء، والطرق، وتعيق ضوء الشمس، إذا ستنتهي الحياة، لكن حكمة الله أنه رفع السموات بغير عمد ترونها، بقوى تجاذب!!!

معنى ذلك أن الأرض مرتبطة بالشمس باثنين مليون ضرب مليون مليون، هذه قوة جذب الشمس للأرض، كل هذه القوة من أجل أن تحرف الأرض ثلاثة مليمترات كل ثانية، هذا الشكل الإهليلجي الذي هو مسارها حول الشمس.

ثمار وفوائد .. توحيد الله

إن عقيدة التوحيد هي لب الإسلام، بل هي محور رسالات السماء، قال تعالى :

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)
[سورة الأنبياء : 25]

إله واحد، خالق كل شيء، ورب كل شيء، له الخلق والأمر، وإليه المصير، في السماء إله، وفي الأرض إله هو وحده الجدير، أن يعبد فلا يجحد، وأن يشكر فلا يكفر وأن يطاع فلا يعصى .

روى الشيخان البخاري ومسلم : عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي يا معاذ ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال عليه الصلاة والسلام : حق الله على العباد أن يعبدوه، لأن العبادة هي علة وجودهم .

حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله، أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا .

لوازم التوحيد

1.أن لا يتخذ الإنسان من دون الله رباً يعظمه كما يعظم الله

فلو اعتقد أن جهة غير الله، يمكن أن تعطي، أو أن تمنع يمكن أن تخفض، أو أن ترفع، يمكن أن تعز أو تذل، مستقلة عن إرادة الله فقد أشرك .

2.أن لا يتخذ الإنسان من دون الله ولياً، يحبه كحب الله .

3.أن لا يتخذ الإنسان غير الله حكما، يطيعه كما يطيع الله .

ثمار التوحيد

1.تحرير للإنسان

من كل عبودية، إلا لربه الواحد الديان، الذي خلقه فسواه وكرمه، التوحيد تحرير لعقله من الخرافات والأوهام، التوحيد تحرير لضميره من الخضوع والذل والاستسلام، التوحيد تحرير لحياته من تسلط الأرباب والمتألهين .

2.يعين على تكوين الشخصية المتزنة

التي توضحت في الحياة وجهتها، وتوحدت غايتها وتحدد طريقها، فليس لها إلا إله واحد، تتجه إليه في الخلوة، والجلوة وتدعوه في السراء والضراء، وتعمل على ما يرضيه، في الصغيرة والكبيرة .

3.يملئ نفس صاحبه أمناً وطمأنينة

فلا تسترد بها المخاوف التي تتسلط على أهل الشرك، فقد سد الموحد منافذ الخوف التي يفتحها الناس على أنفسهم، الخوف على الرزق، والخوف على الأجل، والخوف على النفس، والخوف على الأهل والأولاد، والخوف من الإنس، والخوف من الجن، والخوف من الموت، والخوف من ما بعد الموت .

أما المؤمن الصادق، الموحد فلا يخاف إلا الله، ولا يخشى إلا الله، ولهذا تراه آمنا إذا خاف الناس، مطمئنا إذا قلق الناس هادئا إذا اضطرب الناس .

4.التوحيد مصدر لقوة النفس

إذ يمنح التوحيد صاحبه، قوة نفسية هائلة، حيث تمتلئ نفسه من الرجاء بالله تعالى، والثقة به، والتوكل عليه، والرضى بقضائه والصبر على بلائه، والاستغناء به عن خلقه، فهو راسخ كالجبل، لا تزحزحه الحوادث، ولا تزعزعه الكوارث .

5.التوحيد أساس الأخوة الإنسانية والمساواة البشرية

لأن الأخوة والمساواة، لا تتحققان في حياة الناس إذا كان بعضهم أربابا لبعض، أما إن كان الناس جميعا عبادا لله والله فوق الخلق فيها وحده، هو الخالق، المربي، المسير، الرازق هو الحكم، إليه المصير، عندئذ تتحقق المساواة بين الناس، ويأتلف بعضهم بعضا .

وهذه بعض ثمار التوحيد، وقد قيل ما تعلمت العبيد، أفضل من التوحيد وقيل أيضا : نهاية العلم التوحيد، ونهاية العمل التقوى .